# الاستبشار بالقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

**/http://www.muslimat.net**

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبتدئ هذا الموسم في دورتنا الصيفية بهذه اللقاءات الثلاثة التي عنوانها: **الاستبشار بالقرآن**.

وهذا العنوان إنما هو منتزع من الآية العظيمة التي في أواخر سورة التوبة، والتي فيها تمييز بين أهل الإيمان وأهل النفاق حال سماعهم كلام الله.

وهذه السورة كما تعرفون من أعظم الأدلة الدالة على أن هذا الكتاب العظيم الناس يختلفون في ردة فعلهم عليه؛ فهذا الكتاب كتاب هُدَى، قال الله –عزّ وجلّ– في سورة البقرة مخبرًا عن هذا الكتاب أنه هدىً للناس: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢]، فمعناه أننا نفهم أن هذا الكتاب العظيم يهدي جميع الناس إلى الصراط المستقيم.

لكننا نرى كثير من الناس يسمعون القرآن ولا يهتدون به؟! ليس هذا فقط بل كثير من أهل الفرق الذين افترقوا عن دين الإسلام أخذوا في افتراقهم آية معهم، مثلًا:

- الخوارج هم أشهر من نسمع عنهم الذين يرون تقتيل المسلمين دينًا، هؤلاء يحفظون آيات من القرآن ويستشهدون بها على ما يفعلون.
- وعكسهم تمامًا المرجئة الذين يتركون العمل ويقولون يكفي في الإيمان القلب، أيضًا معهم آيات من كتاب الله يستدلون بها على هذا المعنى.

إذًا معنى ذلك ليس فقط الناس مهتدي لكتاب الله ومنتفع منه، وضال عن كتاب الله وغير منتفع منه، بل هناك فرقة أعظم من هؤلاء، هناك من دخل الضلالة بأخذه آية من كتاب الله. فالناس يختلفون حول كتاب الله، والصائم الذي صام والقائم الذي قام وهو صادق في إقباله على ربه، لابد أنه يكون قد سمع من القرآن العظيم ما يهديه إلى الصراط المستقيم إن كان صادقًا. أما إن كان كاذبًا فإنه ما يسمع من القرآن إلا ما يؤيد هواه، والذي لا يؤيد هواه كأنه لا يسمعه. ولذا ونحن نناقش موضوع الاستبشار، لابد قبل أن نتكلم عن الاستبشار لابد أن نتكلم عن أصل المسألة، يعني هذا الاستبشار كما تبيّن لنا مُنتزع من الآية التي في أواخر سورة التوبة:

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة:١٢٤]

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ} معناه أن القرآن مُنزّل من عند الله.

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} أي سورة من القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكما سنسمع في كلام ابن عطية: وكل من تجدد له علم كأنه بمثابة من أُنزِل عليه سورة يعني انظروا لموقفنا نحن الآن لو نريد أن نرى نفسنا بالنسبة لهذه الآية {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ}، اليوم انتهى الوحي كما هو معلوم وانتهى نزول السور فكيف سنُقَدِر أنفسنا بالنسبة لهذه الآية؟ ذكر ابن عطية أن كل إنسان تجدد له علم بسورة يصبح بالنسبة له بمنزلة النزول.

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} ننظر لردود فعل الناس –ظاهرهم أنهم مؤمنين– ينقسمون إلى فريقين:

---

[١] قال ابن عطية: "وهذا حكم من يتعلم العلم في معنى زيادة الإيمان ونقصانه إلى يوم القيامة، فإن تعلم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة القرآن". المحرر الوجيز:٤/٤٣٧-٤٣٨.

{فَمِنْهُم} من هؤلاء الذين يسمعون السورة {مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا}، أَيُّكُمْ: من فيكم زادته هذه إيمانا، ولما تقرأوا تفسير هذه الآية تجدون أن المفسرين بين قولين:

بين أن المنافقين –وهؤلاء منافقين أكيد– {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا}:

- ربما سأل بعضهم بعض أيكم زادته هذه إيمانًا
- وربما سألوا المؤمنين من أجل أن يشككوهم

هذا السؤال {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا} بنفسه يدلنا على شيء مهم وهو أن المنافقين كالمؤمنين يتوقعون أنه إذا قرأوا الآيات ماذا يحصل لهم؟ تزيدهم إيمانًا، فيجيب الله –عزّ وجلّ– عليهم ويوصف لنا الحالة التي يجب أن نكون عليها فيقول: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}، هذا معناه أن هناك وصفين للذين آمنوا:

١. أن الآيات التي يسمعونها تزيدهم إيمانًا.
٢. أنهم كلما سمعوا الآيات يحصل لهم الاستبشار.

أما زيادة الإيمان فهذا موضوع واسع عظيم لابد من إعطاء نبذة عنه قبل أن أدخل على الأمر الثاني وهو الاستبشار..

## || صفات المؤمنين ||

قبل أن ندخل في التفاصيل نفكر جيدًا هذه الصفات صفات المؤمنين بمعنى أن فُقدَانها لابد أن ينقل الإنسان إلى الجهة الأخرى وهي جهة المنافقين. وكل مرة تقرئين في القرآن وصف للمؤمنين لابد أن تحقّقه يعني تفتّش عنه لكي تصل إلى تحقيقه أو البحث عنه أو التأكد من وجوده، بحيث أن القرآن يكون الحبل الذي نتمسّك به لننجو.

- لما يعرض عليك أوصاف المؤمنين، أفعال المؤمنين، مشاعر المؤمنين، مواقف المؤمنين، هذا ما تجتهد فيه.
- ولما يعرض عليك مواقف المنافقين، أحوال المنافقين، مشاعر المنافقين، ردود فعل المنافقين، هذا ما تحذر منه.

فالإيمان ليس اسم يأخذه الإنسان من الولادة، إنما هو وصف يصله الإنسان من الجِد والسعي في طريق ربه، فلنجعل أول السعي هو هذا الشهر الذي مرّ علينا أسأل الله أن يقبل منا أعمالنا.

أول السعي سنجعله هذا الشهر، ثم إذا سعيت كما ينبغي في ذاك الشهر أهم شيء تخرج منه: أنك قرأت القرآن مرات، وسمعته مرات، ووقفت عند آيات كثيرة مرات، وبقي عليك أن الذي سمعته وقرأته ووقفت عنده تتأمله، وترى أوصاف المؤمنين فيه بصورة جيدة وأوصاف المنافقين؛ من أجل أن تكون من هؤلاء، وتبعد أن تكون من هؤلاء. هذه الآية في أواخر سورة التوبة وصف واضح تمامًا الذين آمنوا هم الذين يزدادوا إيمانًا، وأيضًا حالتهم الأخرى أنهم {يَسْتَبْشِرُونَ}.

في هذا اللقاءات–سنفهم بشيء من الإجمال معنى ازدادوا إيمانًا، وبشيء من التفصيل معنى أنهم يستبشرون، اليوم خاصة يستبشرون؛ بسبب أننا نفتح عيوننا وآذاننا كل يوم على شأن ما وراءه استبشار، على شؤون محزنة. وأظن أواخر هذا الشهر الكريم وأوائل هذا الشهر الذي نحن فيه كانت من المواقف الكثير التي حصلت وهزت الوجدان، وأمور ما كنا نتوقعها حصلت وهذا كله يسبب دبيب اليأس إلى قلوب المؤمنين، لكن هذا اليأس ما هو إلا من الشيطان.

المؤمنون الذين يعرفون سنة الله يستبشرون كلما قرأوا القرآن، ويعرفون أنه كما أنّ الله سبحانه وتعالى {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [فاطر: ١٣] أنّ مهما اشتدّت الأوضاع وأظلمت الأمور وزاد طغيان الطاغين وزاد تبجّح هؤلاء القوم الذين تعدّوا الحرمات وأغفلوا كل حدود حتى الإنسانية، أنه مهما زاد تبجحهم سيعود الأمر ويستقرّ وسيعود أهل الإسلام إلى مكانهم ويرتفع دين الله -عزّ وجلّ- وتذهب هذه الأمور التي دخلوا فيها دون أن يعقلوها، إنما ابتلينا بها بلاءً نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يرفع عنا.

فهذا وإن كان يُظن أنه ليس وقت للاستبشار لكن في الحقيقة هو وقت للاستبشار، فكلما زادت الحُلكة والظُلمة كلما اقترب الفجر، وأنتم تعرفون في سنة الله -عزّ وجلّ- في خلقه للكون أن أكثر وقت فيه حُلكة هو آخر وقت لليل ثم يأتي الفجر وينقشع هذا الظلام كله، ويعود أهل الإسلام ويظهر الإيمان ويستبشر المؤمنين بما جعل الله لهم من بشارات. لكن المؤمن الحق ما ينتظر الأمور تصبح علنًا، المؤمن الحق يؤمن بالغيب، فتكون الأمور في الغيب وهو يراها كأنها واقعة ويقسم بالله أن كل هذا الظلام سيذهب ولابد من نور وراءه، كما أن أي واحد ينظر في الساعة ويراها مثلًا الرابعة إلا ربع صباحًا فجرًا يقول: (كلها ساعة والنور سيملأ المكان) مستعد أن يُقسم على ذلك، لماذا؟ لأنه يدرك ذلك بحسّه، صاحب الإيمان يدرك ذلك بإيمانه، لابد كل البشارات التي في كتاب الله وردت وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم لابد أنها واقعة. سنرى إن شاء الله هذه البشارات، ونرى أيضًا وقوعها ونرى أنها قد تحمل كلمة بشارة في القرآن، قد تحمل هذه الكلمة يُبشرون في الدنيا، وقد لا تحمل نفس كلمة البشارة، وقد تحمل معنى عكسي.

- مثلًا تجد في كتاب الله -عزّ وجلّ- المؤمنين يستبشرون بنصر الله، يفرحون بنصر الله كما في أوائل سورة الروم {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الروم: ٤-٥]. هذه في كلمة الفرح والاستبشار، هذا واضح يعني تجد كلمة الاستبشار، الفرح موجودة في الآيات.

ليس هذا فقط ما نستبشر به إنما أيضًا سيتبين لنا أننا سنستبشر ببعض السنن العجيبة من سنن الله.

- مثلا تسمعون في غافر: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر: ٢٨] هذه نستبشر فيها لأي سبب؟ نقول أن القوم ما داموا زادوا إسرافًا وزادوا طغيانًا ماذا سيكون نهايتهم؟! لا يمكن أن يهديهم الله ولابد أن يظهر عوارهم ولابد أن يظهر ما فيهم من خبث. هم تعدوا قتلوا مسلمين، فعلوا وفعلوا إلى أن وصلوا إلى المدينة التي أخبر فيها النبي صلى الله عليه وسلم أن من يعتدي فيها يذوب كما يذوب الملح في الماء .. الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، كن متيقِّنًا أن هذه إنما هي بشارة حتى لو لم يظهر في ظاهرها أنها بشارة.

إذًا نحن نتكلم عن أنواع البشارات وكيف يجب أن تكون عقيدتنا في الاستبشار، كيف لابد أن نكون مستبشرين متيقنين لا يوجد في نفوسنا أي شك في هذه البشارة.

---

[٢] صحيح مسلم، كتاب الحج، بَابُ مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ، ٤٩٢. عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْقَرَّاظِ، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَرَادَ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ بِسُوءٍ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ- أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ)).

أهل الإيمان واليقين مستبشرين؛ لأنهم متيقنين، ولذا لابد أن نقدم قبل الكلام عن الاستبشار لابد أن نتكلم عن نفس الإيمان.

أذكركم بالآية مرة أخرى الله -عزّ وجلّ- يجيب على سؤال المنافقين: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا} يردّ الله -عزّ وجلّ- {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} إذًا أنت مؤمن كل آية تتعلمها وتسمعها من كتاب الله ستفعل فيك فعلين:

١. الفعل الأول أنك ستزداد إيمانًا.
٢. والفعل الثاني أنك ستستبشر بما في كتاب الله.

الثاني معتمد على الأول، حصول الاستبشار معتمد على حصول الإيمان. فنحن نناقش اليوم -إن شاء الله- بالإجمال حصول الإيمان، ثم إن شاء الله نبدأ في بيان أن الاستبشار معتمد على قوة الإيمان.

ما حال المؤمنين؟ حالهم أنهم كلما سمعوا آية من كتاب الله زادتهم هذه الآية إيمانًا. كيف ستزيدهم آيات كتاب الله -عزّ وجلّ- إيمانا؟

**الإيمان** هو التصديق اليقيني، المؤمن هو الذي يسمع خبرًا من الأخبار الغيبية فيصدقها تصديقًا يقينيًا، لما نقول تصديق يقيني معناه نتكلم عن الأخبار وليس الأوامر. هل الأخبار لها علاقة بالأوامر سيتبين لنا أن لها علاقة بالأوامر، لكن أول ما نقول الإيمان إذًا نحن نتكلم عن الأخبار.

كل خبر يسمعه المؤمن من القرآن ينزل في قلبه أنه خبر تكلم به الله والله كلامه كله صدق، إذًا ما يُخبِر به سبحانه وتعالى حق يقيني، تحتاج أن تتعامل معه على أنه يقين. فمثلًا تسمع عن بداية الخليقة، وتسمع أن الله -عزّ وجلّ- خلق آدم عليه السلام وأسجد له الملائكة، هذا الخبر ما يتطرق إلى قلبك أي شك فيه، ولا تختار في بداية الخليقة ولا تُعبر عن هذه الحقيقة إلا كما أخبر الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

هناك ثلاثة شروط في مسألة التصديق اليقيني:

- **الأول**: أن التصديق اليقيني هذا سيكون في الأخبار الغيبية التي وردت في الكتاب والسنة.
- **الثاني**: أن تصديقه للخبر اليقيني لا يدخله شك أبدًا.
- **الثالث**: أنه يعبر عن هذا الخبر الغيبي كما ورد في الكتاب والسنة.

سيتبيّن هذا أكثر لو ضربنا مثال في مسألة خلق السماوات والأرض، الخبر في الكتاب والسنة لخلق السماوات والأرض، وكيف أنه خلقها سبحانه وتعالى في يومين كما في سورة فصلت، هذا الخبر المطلوب منك أن تتيقّن أنه حقيقة وأنه وقع، وألا تُعبر عنه إلا كما أتى في القرآن، وهذا أمر غاية في الأهمية لأن أول ما نبدأ في الأخبار الغيبية بالتعبيرات الإنسانية يحصل انفصال بينك وبين الإيمان، وبالمثال نتصور المسألة.

في السنوات الخمس السابقة خرجت لنا كلمة بدل خلق السماوات والأرض يتكلمون عن بدء الخليقة بما يسمونه بـ(الانفجار الكوني) ويقولون أن هذه نظرية كيف بدأ الكون بالانفجار الكوني! ويتخرَّصون؛ لأن ما في أحد عنده هذا العلم أبدًا، الله الذي خلق السماوات والأرض هو الذي يخبرك كيف خلقهم وكيف في يومين وكيف دحاها وكيف أعطاها، الله الذي يخبرك بذلك. أي أحد ثاني يتكلم عن مسألة خلق السماوات والأرض صفته أنه يتخرَّص، يتوقع، يأتي بمعلومات وينسجها كما يريد، عبروا عن ذلك

بكلمة الانفجار الكوني. نحن لن ننازع أحد في الكلمة ولا نقول صحيح ولا خطأ، سنقول نحن المؤمنين في غِنى، يكفينا هذه الكلمة، أن نأتي للحقيقة الغيبية التي نحن نعتقد أنها جزء من عقيدتنا ومن إيماننا بالقرآن ومن إيماننا أنها خبر من عند الله، نحن في غِنى أن نعبر عن هذه الحقيقة بهذا اللفظ. ومن ثم سنبقى في عقيدتنا معتقدين أن الله خلق السماوات والأرض على التفصيل الوارد في سورة النازعات وفي سورة فصلت وفي غيرها من سور القرآن بالإجمال وبالتفصيل، الخبر واضح عندنا.

إذًا هذا معناه أن المؤمن حقيقة إيمانه أن كل خبر غيبي ورد في القرآن يعرفه ويتيقن به ما يدخله الشك، ما يُعبِر تعبير آخر غير الموجود في كتاب الله. خلقك كإنسان ما فيه منازعة، الله -عزّ وجلّ- خلق آدم عليه السلام وأسجد له الملائكة، وأتت الذرية من بعده بعد إهباطهم إلى الأرض كما نعلم. يأتي أحد يقول لك: أصل الإنسان قرد! هذه نظرية فلان، ما نحتاج نتناقش فيها، لسنا بحاجة للنقاش ولا إثبات صحتها ولا إثبات بطلانها، نحن مؤمنين في غِنى أن نبحث عن هذه الحقائق. فالمؤمن أصلا ليس لديه علامة استفهام، مكتفي في المعارف الغيبية بالحقائق القرآنية فلا ندخل في التفاصيل، نثبت أو ننفي صحيح أو لا، لديهم اثباتات.. هذا لا يهمنا، الذي يهمنا أننا سنلقى ربنا نحاسب على اعتقاداتنا، والذي سنحاسب عليه هو موجود في كتاب الله. أما ما يطرحونه أيًا كانت أطروحاتهم وأيًا كانت أسماء أطروحاتهم فهذا شيء لا يعنينا ولن نُسأل عنه، إنما ستسأل عن ما سمعت في القرآن. فالمعنى أن المؤمن يسمع الأخبار سماعًا يقينًا يصدقها، ما يدخله شك يُعبر عنها كما وردت في القرآن.

لما نأتي إلى هذا الإيمان كيف يزيد؟ إيمانك يكون بالأخبار الغيبية من جهة أفعال الله، من جهة صفات الله، من جهة أحوال الأمم السابقة، من جهة ما سيكون في مستقبل الأمر، من جهة ما سيكون في الجنة وفي النار ويوم القيامة، كل هذا يعتبر من الأمور الغيبية التي تستلزم منا الإيمان.

المؤمن ماذا يفعل وهو يسمع القرآن؟ ما يعتمد على إيمانه الإجمالي، نتكلم على من يزداد إيمانا وليس من آمن إيمانا مجملا. أنت تدخل على القرآن ومعك إيمان إجمالي، فالإيمان الإجمالي يقول هذا القرآن كلام الله، وكل خبر فيه صدق، وعلي أن أتيقن به ولا أشك.. هذا الإيمان الإجمالي. لكن كل آية تقرأها في القرآن وفيها خبر غيبي ماذا تستلزم منك لكي تزداد إيمانًا؟ تستلزم أنك تقف أمامها وتتيقن بها، وتمررها على خاطرك، وتصبح هي لغتك التي تُعبّر بها.

مثال: السفينة هذه التي تجري في البحر كلما رآها الناس عامة الناس رأوها على أنها أداة من أدوات المواصلات شيء موجود عندنا وننتقل به. في كل مرة تقرأ فيها كتاب الله -عزّ وجلّ- وتسمع منة الله علينا بهذه السفينة، سواء كانت ابتداءً بصناعتها في قصة نوح عليه السلام، أو كان المنة مستقلة في التذكير بها في كتاب الله، تسمع عن هذه السفينة التي تحمل الخلق بطريقتين:

- في قصة نوح، وكيف أنه كان يصنعها ويمرون عليه ويستهزؤون إلى آخره.
- في كون أن الله -عزّ وجلّ- يمتن علينا في أنه حملنا في البر والبحر.

هذا نوع في ذكر السفن وهذا نوع في ذكر السفن، الآن ماهي عقيدتك في السفينة! هذه المحسوسة، عقيدتك خبر غيبي سابق، وهو أن الله علم نوح عليه السلام هذه الصناعة، وامتن بها عليه وانتقل هذا العلم للناس، والله -عزّ وجلّ- جعله باقيًا وهو الذي حمل الخلق فيها. ثم لما تسمع سورة هود وكيف أنها كانت موج كالجبال، موج كالجبال ماذا تساوي فيه سفينة ذات ألواح ودسر ماذا تكون؟! لا شيء. لكن لأن الله حملهم فيها نجوا، فإذًا الذي يحملنا في البحر الله -عزّ وجلّ-. هذه عقيدة تعتقدها رغم أن السفينة شيء محسوس لكن وراءه الأمر الغيبي.

إذًا معناها أننا سنقف كثيرا أمام ما نقرأه في كتاب الله، ونستعرض كل هذه الأخبار الغيبية نستعرضها كخبر ونستعرضها كاعتقاد.

أما أن تجري كلمات القرآن على اللسان والوجدان منها خاليًا! زيادة الإيمان معناها أن كل ما استعرضت آيات القرآن زاد اليقين في القلب وذهب كل شك، وليس شرطًا أن يكون شك، بل ذهب كل شك إن كان هناك شك، وذهب كل جهل إن كان هناك جهل، وذهبت كل غفلة إن كانت هناك غفلة.

**إذًا الإيمان يعتريه ثلاثة أمور:**

١- إما أن تكون جاهلًا بحقيقة المسائل (ما تعرفها)، ما تعرف مثلًا الأنبياء ما تعرف أن عيسى عليه السلام أتى إلى بني إسرائيل، وانقسم بني إسرائيل عليه إلى قسمين: قسم كذبوه وقسم آمنوا به، ثم تقرأ في القرآن فيتبين لك أن الله أرسل عيسى إلى بني إسرائيل. كيف تزداد إيمانًا؟ ينكشف الجهل وتتعلم.

٢- أو تكون عالمًا بالمسألة لكن غفلت عنها، تعرف أن هذه السفينة إنما علمها الله نوح عليه السلام، لكنك غفلت وتعلمت أن هذه النظرية فلان وفلان، والسفينة تجري بنظرية كذا، غفلت عن الحق، غفلت أن السفينة جزء من اعتقادك، غفلت أن الماء الذي ينزل من السماء جزء من اعتقادك، غفلت أن الريح والهواء جزء من اعتقادك، غفلت عن هذا فتقرأ في القرآن كيف أن هذه الريح ليست ريحًا تمر والأحوال الجوية كما نعبر عنها، إنما مخلوق خلقه الله ومأمور يأمره الله وقد يسلطه الله على بعض خلقه فيكون هو العذاب على بعض الأقوام. فتعتقد في الريح عقيدة ما وراءها في مقابل أن الناس يرون الريح والهواء مجرد شيء يعيشونه. إذًا الإنسان يكون جاهل فيقرأ القرآن وتأتيه أخبار غيبية عن أمور لم يعيشها، أو يعيشها ولا يفهم بُعْدها، أو أمور ستكون في المستقبل، أيًا كانت أنواع الأمور التي هي غيب ما حاله؟ إما جاهل يتعلم وإما غافل يتنبّه. وهذين النوعين جميعًا نشترك فيها.

٣- الأمر الثالث: يزداد إيمانًا يعني أمر يكون قد شك فيه، أتاه من شياطين الإنس أو الجن وألقى عليه الشبهة، فيقرأ القرآن ويكرره ويفهم ويتدبر حتى تزول منه الشبهة، فيكون بذلك قد ازداد إيمانًا.

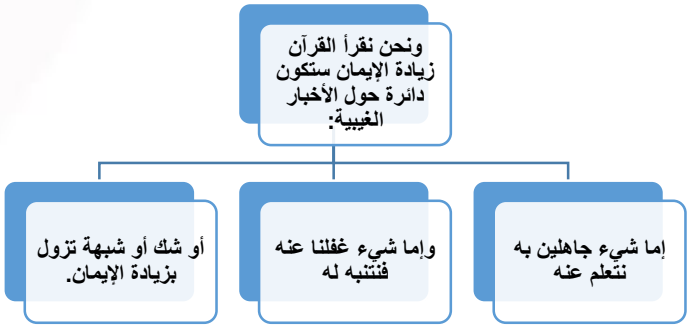


فهمنا لأنواع الغيب هو الذي يحصل معه الاستبشار، نكون مستبشرين بالقرآن لما نكون جاهلين ونتعلم، نستبشر لما نكون غافلين ونتيقظ، نستبشر بالقرآن لما يكون في شُبهة أو شك وتزول، في أي شيء هو هذا الذي سندور فيه.

سيكون حظنا في الاستبشار متصل بأنواع الغيب الذي يمكن أن تكون في هذا القرآن العظيم الذي يستلزم منا العناية به، سنرى أولا الأشياء الإجمالية.

**ما هي أنواع الأخبار الغيبية التي تأتي في القرآن ويحصل وراءها الاستبشار:**

**أول أنواع الغيب:** ما سبق في علم الله مثل خلق آدم عليه السلام، بمعنى أن يكون الإنسان جاهلًا كيف كان بِدء الخليقة وهذا حصل في سابق علم الله، كيف خُلِقت الأرض هذا في سابق علم الله.

وهذا النوع أنت ترى الناس كم هم متشوقين لمعرفته، وترى الناس كم يبحثون ويبذلون من أجل أن يأتوا بأخبار عنه، وترى الناس يخترعون ويكذبون في هذا النوع، ما أصل الإنسان ما بدايته؟ ما هي بداية الأرض؟.. كل هذه أمور تظن بأنك عندك العلم، تظن أنها ليست مهمة لكن الحقيقة أن معرفتنا له واكتفاءنا به أشعرنا أنه شيء ما هو مهم، بمعنى لو كنت لا تعرف هذا الشيء أبدًا ولا تدري عنه كيف سيكون بالنسبة لك علامة استفهام وكنت ستبحث، نحن من أين أتينا؟ ما أصلنا؟ ما حالتنا؟

نحن من أن عقلنا وقرأنا القرآن وجدنا أول قصة قصة آدم عليه السلام، فالأمر عندنا مستقر، وهذه دائمًا حالة الناس لما يُعطَون المنة من غير سؤال بدل ما يكون الإحساس بالمنة يكون الإحساس بالبطر! لكن سيشعر بهذه الحقائق الذي كان كافرًا وبعيدًا ولا يعرف الحقائق ثم يدخل إلى الإسلام، فيجد إجابات على أسئلة كثيرة كانت تدور في خُلده، نحن لا تدور في خُلدنا؛ لأننا قد أُخبرنا عنها وموجودة عندنا فما يحصل عندنا أي حالة من البحث، ونحن مكفول لنا في القرآن العلم بالثلاثة الأمور الإجمالية التي نتكلم عنها:

١. **من أين أتينا؟**
٢. **إلى أين نذهب؟**
٣. **وماذا يجب علينا أن نعمل؟**

هذه الثلاثة الأمور مكفولة واضحة تمامًا، وهذه الأمور تحير الخلق: من أين أتوا؟ أين يذهبون بعد ما يموتون؟ ماذا يجب عليهم أن يفعلوا خلال هذه المدة؟

هذه الثلاثة الأمور هي التي تُحير الناس وتُرْبِك تفكيرهم، لكن مكفول لك يا أيها المؤمن في القرآن أنت من أين أتيت، حتى أنكم تسمعون في ترتيب القرآن كما هو متبيّن بالإضافة أن قصة آدم أول قصة في ترتيب المصحف، تسمعين في أواخر المصحف كيف الناس ينقسمون للجنة والنار؟ وما مصيرهم؟ وكيف تكون أحوال الأرض؟ كيف تقوم القيامة؟ وكيف يكون حال الجبال؟ هذا الوصف التفصيلي يقول لك هكذا ستنتهي الدنيا ما بين هذا وهذا أنت ماذا يجب عليك أن تفعل؟

فالمقصود أن الأمور الغيبية التي سكنت نفوسنا بمعرفتها هو ما كان في علم الله في الأمور السابقة، يعني سواء كان خلق آدم عليه السلام أو خلق السماوات والأرض أو خلق الملائكة، هذا كله من الأمور التي تتصل بالغيب السابق في علم الله.

**من أعظم الأمور الغيبية** التي يحصل وراءها الاستبشار، من هو الله الذي نعبده؟

فكل مرة تسمع عن أسمائه وصفاته وأفعاله يأتي وراء ذلك الاستبشار، نفسك ساكنة هادئة تعرف من هو الله، لكن فكروا .. لو ما عرفنا عن الله أنه الرزاق كيف كانت نفوسنا؟! ستكون تائهة ونحن نعرف اليوم أنه الرزاق ومع ذلك يحصل لنا تيه؛ السبب الغفلة عن هذه الحقيقة، السبب أننا ما نتنبه لها أو ما تصل إلى أعماقنا يعني نحن نعرف؛ لكن لعدم وجود اليقين بها نرى الناس كيف يقاتل بعضهم بعضا على الرزق!

لو ما نعرف أن الله تواب -ونحن نعرف نفسنا أننا خطائين- ماذا سيكون حالنا!

فمن البشرى أن تعرف من الله، تستبشر بكل معرفة تعرفها.

ونحن في هذه الحال حال المسلمين من مظاهر الذلّ الذي انتشرت عليهم لو ما عرفنا أن الله عزيز ويعزّ أهل الإسلام لهلك الناس، لو ما عرفنا أن الله -عزّ وجلّ- يكشف الغمة ويجمع الأمة لوقع لنفوس الناس شيء كثير من الفتنة.

فإذًا من الأمور المهمة جدا التي تتصل بالغيب ويكون وراءها الاستبشار:

- **الأمر الأول**: عرفنا العلوم التي سبقت في علم الله كخلق آدم وخلق السماوات والأرض.
- **الأمر الثاني** من الأمور الغيبية التي نجد أخبارها في الكتاب والسنة: من هو الله.

يجد تفصيلها في كتاب الله، يعني لست محتار أبدًا لا من أين بدأت ولا كيف خلق الله السماوات والأرض ولا هذا الذي ندبُّ عليه ما هو ولا هذا الذي فوقنا ما هو؛ تعرف أن هذا خلق الله، ومن هنا تعرف من هو الله.

- **الأمر الثالث**: كيف يعامل الله خلقه وهذه من الأمور الغيبية التي تؤثر جدا في تفكير الانسان.

يعني انظر للناس اليوم -من غير أهل الإسلام- وهم ينظرون مثلا للأهرامات التي هي من صنع الفراعنة كما هو معروف، يعني عنده من الحيرة والتفكير وكيف صُنعت وإلى آخر ما تسمعون، وكل يوم حفريات وكل يوم آراء وكل يوم نظريات. نحن بالنسبة لنا هذا الخبر شأنه تام الوضوح، لماذا الأهرامات ومدائن صالح وغيرها محفوظة؟

واضح لنا الجواب: الله -عزّ وجلّ- يحفظها لترى آثار العظماء، فإذا رأيت آثار العظماء تسأل أين هم هؤلاء العظماء! من طواهم! فيكون الجواب أن العظيم هو الذي طواهم، لأجل أي شيء؟ لأنهم فعلوا وفعلوا وفعلوا. فالآثار التي يراها الناس عندنا تكون مفهومة، واضحة، تدلنا بوضوح على رب العالمين.

فالمقصود أن من الأمور الغيبية كيف يعامل الله -عزّ وجلّ- خلقه وهذا نستبشر به، لما نسمع عما حصل في قوم لوط وكيف أنهم لما وصلوا إلى الحال العظيمة في الإسراف في جريمتهم، وتعرف كيف أنهم لما بلغوا حد الاسراف فيها، وجاهروا وتكلموا بها، ورأوا أن التطهر منها ذنب والإعلان عنها أمر عادي، جاءهم عذاب الله.

فهذه السنة ما تتخلف أبدًا، أي قوم يستسيغوا هذا المنكر العظيم ويفشوا فيهم ويعيشوه، فقد ابتدأوا بنهايتهم. لكن القوم مستعجلين والحقيقة أن هذه السنة لا تتخلف أبدًا فيحصل الاستبشار أن دين الله وما يرضي الله لابد أن يعلو مهما حصل خلاف ذلك. فتعرف سنن الله -عزّ وجلّ- وتعرف كيف يعامل الله الخلق فتسلك المسلك الذي يُرضي الله -عزّ وجلّ- لتكون من أهل السلامة والقبول.

- **الأمر الرابع** من الأمور الغيبة التي تأتي في كتاب الله: مصير الناس يوم القيامة ابتداء من موتهم إلى يوم القيامة.

يتأمّل الإنسان الأخبار الواردة في القرآن من لحظة موته إلى أن يلقى ربه، إلى أن يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير، أنت من كان وليك في الدنيا! إن كنت من أولياء الله وكانت الملائكة هي التي تحيط بك، إن كنت ممن كانت الملائكة أولياءك في الحياة الدنيا سيبشرونك لحظة الموت، لحظة ما تُقبض، ولحظة ما تبعث، ويدخلون الأبواب على أهل الجنة يسلمون عليهم ويهنئونهم.

هذا مسلك لا يمكن أن يأتيك إلا عن طريق الغيب، هؤلاء عالم غيبي، المعرفة بهم لا يمكن أن تأتي إلا بكتاب الله، فكل مرة تسمع في القرآن أخبارهم ويزداد إيمانك بهم، وكل مرة تزيد معرفة بهم لابد أن يقع في القلب الاستبشار بهذه الأخبار: أن كن مطمئنًا،

ترى الملائكة الذين هم أولياءك في الحياة الدنيا لما تُقبض ستقول لك: لا خوف عليك مما ستستقبل لا تحزن على ما تركت؛ فيأتيك ما يطمئنك، ثم لما تخرج من قبرك في ذاك الفزع أيضا تطمئنك، وأيضا لما تدخل إلى جنات النعيم تبشرك وتستقبلك وتدخل عليك تسلم عليك وتهنئك، وهي هنا في الدنيا تستغفر لك بل حملة العرش يستغفرون لك!

فهذه الأخبار فيها البشرى تستبشر بها وتراها خيرًا عظيمًا، إذا كان أهل الكفر يتحزبون فأهل الإيمان لهم حزب في السماء، وهذا كله مما يجعل الإنسان في طمأنينة لما يذكر الله، يكون تام الطمأنينة؛ لأنه يعرف عن الله هذا كله. ويعرف كيف أن الله أيّد أهل الايمان بهؤلاء، وكيف يعاملهم، كيف يلطف بهم، كيف يرأف بهم.. فهذه الأخبار الغيبية كلها تأتي بالبشرى للمؤمن، وما يشعر أبدًا بما يشعر به الناس من الإحباط، وأن الدنيا إلى زوال وإلى نهاية.. لا، لما تسمع في الأخبار الله سميع بصير، الله عليم بأحوال الصادقين، يملك هذه الدنيا، سلام مؤمن مهيمن، تسمع هذه الأخبار كلها فماذا يقع في القلب؟ تطمئن.

ترى أهل الباطل وصلوا ذروتهم، تأتي قصة موسى في سورة القصص كيف أن {فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ}[القصص: ٤] كل هذه الأفعال ثم يُصر على قتلهم فيُربّى موسى في بيته، يأمر الله -عزّ وجلّ- أمه أن تلقيه في اليّم فيحفظه، تقصّه أخته فيُحرَّم عليه المراضع ليعود لأمه، كل هذه التدابير العجيبة أنت مؤمن أنها حصلت، ترى مثلها في الحياة، تعيشها أنت بنفسك كشخص وتعيشها الأمة كتدبير، لا تعرف من أين يأتي إلا من لطف الله، هذا كله يأتي بالبشرى ويدفع عن الإنسان الإحباط.

هنا يأتينا الشيء المهم، هذا الإحباط وعدم الاستبشار يحرص عليه شياطين الإنس والجنّ، يحرصون أن يوصلوا المؤمنين إلى اهتزاز ثقتهم برب العالمين. وهذا معناه أن أهل الباطل لهم من الخطط أن يوصلوا الناس إلى إساءة الظن بربهم، مثل ما فعل إبليس مع آدم عليه السلام، يعني أول خطيئة ارتكبت من آدم في الخبر الغيبي، ماذا فعل إبليس بآدم؟ وسوس له، أخبره أنه سيدلّه على شجرة يصل من ورائها أن يكون مَلَك أو يكون من الخالدين. هذا الخبر أو هذا العمل من إبليس إنما في طيّه إساءة ظن آدم بالله -عزّ وجلّ- كأنه يقول: ربنا لا يريد لك أن تكون ملكًا أو تكون من الخالدين، لكن تعال أنا أدلّك على طريق تصبح فيك هذه الصفات. ففي داخل كلامه إساءة الظنّ بالله، وهذا سيتبين لنا ونحن نتدارس سورة فصلت: {وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٣].

فهل نكون في حالة يأس من روح الله والفجر قريب جدًا ؟! لا، بل نرى أن هذا آخر الليل ونستعد للفجر ونقوي عزائمنا لنصل إلى الفجر ونحن متيقنين به. فإذا مدّ الله في الحياة عشنا إلى الفجر الحمدلله، وإذا ما مدّ في الحياة وعشنا إلى الفجر وهذه الأعمار بيد الله نُقبل على الله بعقيدة من هو مُتيقن أن بعد الليل فجر، فإذا ما عشناه حسنت ظنوننا في الله، فنُقبل على الله وأجورنا مجتمعة على ذلك.

لابد أن نتكلم اليوم عن البشرى في القرآن، أن الله نصر موسى عليه السلام على فرعون رغم أنه بلغ حدّه في الطغيان {عَلَا فِي الْأَرْضِ} [القصص: ٤]، أن الله خسف بقارون وعنده ما عنده ثم في النهاية ما وجد ناصرين، ما انتصر هو ولا له فئة تنصره، ماله وقدرته لا شيء. من يعرف هذه الأخبار ويتيقن بها ولا يجعلها مجرد أخبار وقصص يسمعها، فالذي يفهم هذا جيدًا ويتيقن به يُقبل على ربه محسنًا الظنّ به.

نعيد على أنفسنا إذا ما مُدّ لنا في العمر حتى رأينا الفجر فإننا يكفينا أن نُقبل على ربنا ونحن محسنين الظن به، متيقنين أنه لا يمكن أن يبقى الباطل منتصرًا والحق مهزومًا إنما هي دول، والحق يبقى حقًا منتصرًا حتى لو لم يظهر آثاره. ومن ذلك الحمدلله بفضل الله الناس متمسكين بدينهم رغم ما يجدون حولهم من إيذاء في هذا الدين، الوضع عام للعالم الاسلامي، تجد الناس رغم ما هم فيه من أحوال لكنهم الحمدلله متمسكين بدينهم، فهذا الدين لا يمكن أن يذهب وأن فجره قريب، وإن شاء الله نكون ممن يعيش حتى يرى فجره. وإذا ما كنا ممن عاش سنربي أبناءنا على أن يستعدوا للفجر، وعلى أن يستقبلوه، وعلى أن يكونوا أهله، ويكونوا ناصري هذا الدين ليسوا من الخاذلين له، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يعيذنا من أن نكون ممن خذل الدين. والله -عزّ وجلّ- ناصر دينه بنا أو بغيرنا لكن الشرف لنا أن نكون في ركب من نصر هذا الدين، أسأل الله -عزّ وجلّ- أن ننصره في أنفسنا وفي تربيتنا لأبنائنا وفيما نكتبه ونقوله للخلق. فإن اليوم أصبح الكذاب الأشر يكتب كلمة تطير في الآفاق وتهدم في قلوب الناس الآمال، فنحن نرجو من الله أن لا نكتب ولا نتكلم إلا بما يزيد هذه الأمة رفعة ويزيد هذا الدين وضوحًا وبيانًا، ونلقاه ونحن قد أحسنّا إلى أنفسنا بالإيمان وأحسنّا إلى الخلق بنشر هذا الإيمان واليقين، وأن نكون ممن ثبت على الدين، خاصة ونحن نخرج من هذا الشهر المبارك والشيطان يتلقفنا ويقلل عزائمنا ويُذهب بروح قلوبنا ويجعلنا مع القرآن متكاسلين ومع الصلاة مهملين، يفعل بنا أفعالًا يتخبطنا، فنرجو من الله أن يثبتنا على الدين ويُذهب عنا ما يوقعه الشيطان علينا من مكائده، اللهم آمين.

إذًا حال المؤمنين أنهم يزدادوا إيمانًا في كل مرة يسمعون الآيات، ويستبشرون.. يقابلهم المنافقين.

## || صفات المنافقين ||

هذا الجزء الثاني من كلامنا لابد أن نتطرق عنه، على الرغم أنه هو ليس موضوعنا بل موضوعنا عن المؤمنين الذين يزدادون إيمانًا ويستبشرون، وما نريد أن نؤذي آذاننا بالكلام عن المنافقين، لكن لابد أن نمر سريعًا على حال المنافقين وأوضاعهم مع القرآن؛ من أجل أن نبتعد عن أوصافهم ونستعيذ بالله -عزّ وجلّ- منها ونحرص على أن لا نكون من أهلها.

حال المنافقين مع آي القرآن: لاحظوا أن هذه الآية التي نناقشها في سورة التوبة، وسورة التوبة كما تعرفون يسميها بعض السلف بـ"الفاضحة" تفضح المنافقين وأحوالهم وهذه الآية أتت في آخر السورة بيانًا لأحوال الخلق هؤلاء

**أنهم ينقسمون إلى قسمين:**

١. مؤمنين يسمعون القرآن ويكون هذا حالهم.

٢. منافقين عكس حالهم.

كما أخبر سبحانه وتعالى أن الذين آمنوا لما يسمعوا آي القرآن يزدادوا إيمانًا وهم يستبشرون.

أما الذي كفروا ماذا يزدادوا؟

١. رجسًا إلى رجسهم

٢. يموتون وهم كافرون.

{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة:١٢٥].

نقارن بين حال المؤمنين وحال المنافقين حال سماعهم للآيات:

| | |
|---|---|
| المؤمنين يزدادوا إيمانًا | المنافقين يزدادوا رجسًا |
| المؤمنين يستبشرون | المنافقين يموتوا وهم كافرون |

أما مقابلة زيادة الإيمان بزيادة الرجس فهذا واضح أنه تناقض، يعني هؤلاء كل ما يزدادوا إيمانًا وهؤلاء يزدادوا شكًّا، لكن لما نأتي للشيء العجيب ما معنى أن هؤلاء يموتوا وهم كافرون في مقابل أن هؤلاء يستبشرون! هنا نجد شيء عجيب أن الاستبشار لما يدخل للمؤمن كأنه بشرى لحسن الخاتمة، لماذا؟ لأنه أمام هؤلاء –الذين يستبشرون– الذين يموتون وهم كافرون، فالاستبشار كأنه إشارة إلى هذه الحالة أنه يفرح بالقرآن ويبتهج به، وكل خبر غيبي يسمعه يزداد به فرحًا، وكل ما تعلم يشعر بمشاعر عظيمة في داخل نفسه من الفرح، كما قال سبحانه وتعالى في سورة يونس: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:٥٨].

وكان لعمر –رضي الله عنه– في هذه الآية موقف مع غلامه أتته إبل عظيمة فتوحات في زمنه –رضي الله عنه– فُتحت أبواب عظيمة على المسلمين وجاء خير كثير فرأى هذا المولى لعمر –رضي الله عنه– إبل كثير مقبلة فقال المولى لعمر: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} قال عمر: "كذبت، ليس هذا فضل الله ورحمته، إنما القرآن فضل الله ورحمته، الإسلام فضل الله ورحمته، وهذا مما يجمعون" . قال عن هذه الابل المقبلة أنها مما يجمعون، إذًا القرآن فضل الله ورحمته، الإسلام الإيمان هو فضل الله ورحمته يجب أن نستبشر به وهذا الاستبشار يؤدي إلى عكس حال المنافقين، وهذا معناه أن لو حصل زيادة الايمان وحصل الاستبشار، إذًا من أعظم البشرى التي تقع للمؤمن أنه يُبَشر لحظة موته لحسن هذه الخاتمة التي سببها الاستبشار بالقرآن.

ولذا لابد أن نفهم أن هذا الموضوع ليس بالهين ولا باليسير، أن نعبد الله بالاستبشار بما في الأخبار القرآنية من بشرى، هذه عبادة يجب أن نُمتّع نفسنا بها، يجب أن نفهمها ونقوم بها ونُعلمها أبناءنا، لابد أن يأتي هذا العلم كالغيث الذي ينزل على الأرض فيفرح بها أهلها. يعني لما ترى أهل الزرع والضرع كيف يستبشروا بالمطر لما يأتي؛ لأن زرعهم وضرعهم سيُنتج، سيخرج من الأرض نبات ستأكل هذه المواشي سيجري في ضروعها اللبن فيفرحون، أعظم من هذا الفرح فرح الذين آمنوا أرضهم يابسة ينزل عليها

---

[٣] لَمَّا قَدِمَ خَرَاجُ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَرَجَ عُمَرُ وَمَوْلًى لَهُ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَعُدُّ الْإِبِلَ، فَإِذَا هِيَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَجَعَلَ عُمَرُ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» وَجَعَلَ مَوْلَاهُ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا وَاللهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «كَذَبْتَ، لَيْسَ هُوَ هَذَا، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى»: {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} يَقُولُ: «بِالْهُدَى وَالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، وَهَذَا مِمَّا يَجْمَعُونَ». حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم.

الأخبار الغيبية فيفرحون بها، يعني يزدادون إيمانًا بها وهم يستبشرون بها، يستبشرون كلمة واسعة إن شاء الله هي تكون موضوع نقاشنا المرة القادمة.

الآن فهمنا شيء مهم جدًا وهو أن هذا الاستبشار عكس طريق المنافقين، المنافقون ماتوا وهم كافرون، هنا يرجى لأهل الايمان أن يموتوا وهم مؤمنين، يعني يثبتون على دينهم. فالبشرى هذا جزاءها ونحن نرجو من الله أن نكون من معاني هذه البشرى أن يبشر الإنسان وقت موته بحسن الخاتمة، وبالملائكة التي ترفع روحه إلى السماء.

بضدها تتبيّن الأشياء، فلما تجد في القرآن أن الله يصف لك أهل الإيمان ويصف لك أهل النفاق، فكأنه يقول لنا مما يزيد بيان حال أهل الإيمان أن تنظر لحال أهل النفاق، فنحتاج أن نجمع من أول القرآن ما ورد عن المنافقين إلى أن نصل آخر القرآن في (المجادلة، المنافقون، الحديد)، لكن نختصر الآن حالهم مع القرآن.

حال المنافقين مع القرآن: واضح في هذه الآية أنه كلما أتى خبر من الأخبار الغيبية ألقوا في الخبر ما يشككهم، فيزيدهم الخبر رجس، تتدنس نفوسهم. فأهل الايمان تتطهر نفوسهم، أهل الإيمان كلما سمعوا الآيات يتزكون، كما أخبر الله -عزّ وجلّ- في سورة البقرة لما دعا إبراهيم عليه السلام برسول يبعثه الله -عزّ وجلّ- من هؤلاء ماذا يفعل لهم {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ} [البقرة: ١٢٩] إذًا آيات القرآن تزكي أهل الإيمان، آيات القرآن تزيد أهل النفاق رجس ودنس.

يأتي إشكال: كيف يكون القرآن -كلام الله العظيم- رجس على بعض الناس وعمى على بعضهم؟ هل نفس آيات القرآن تفعل لهم هذا الفعل؟

القرآن ما فيه إلا الخير، لكن يأتي على بعض الخلق فيكون القرآن عليه عَمَى؛ لأن النفوس تكون غير صالحة بنفسها، فينزل عليها الخير فيصبح لها شرًا بسبب نفوسهم.

أسأل الله أن يعيذنا جميعًا منها وذرارينا، نضع بعض الصفات التي تجعل هذا الكتاب العظيم في حق هؤلاء الخلق رجسًا..

**من صفات المنافقين التي تجعل القرآن عليهم رجس:**

**١-** تحكيم العقل وتعظيمه اتباعًا للهوى، ليس بجعل العقل أداة تستقبل الحق بل بجعل العقل أداة تُحكم بالهوى، هنا أدخلنا مفهومين معا. مشكلة هؤلاء الذين يزيدهم القرآن رجسًا أنهم ما يأتوا على القرآن مُسَلِمِين بل كأنه شخص أتى يُحَكِم القرآن، يقيس الصواب من الخطأ.

عقلك الذي خُلِقَ لك يعتبر أداة شريفة، تستعملها لاستقبال القرآن وليس للحكم على القرآن. وهذا فرق عظيم بين أن تكون هذه الأداة التي رُزقتها تستقبل وتفهم وتضع المقاييس وبين أن يكون هذا العقل حاكمًا على القرآن. لذلك ترى الناس يأتون ينازعوك "ترى هذا الدين يمنع عقولنا من النمو والوجود!"، وهذا باطل؛ هذا الدين يُعَلِم العقل كيف يسير على الصراط المستقيم.

سنعتبر العقل مثل السمع ومثل البصر، لو ما يوجد ضوء في المكان هل البصر يفيدك؟ لا، فهذه الأداة لابد أن يكون لها أجواء، جوها أن يكون هناك ضوء حتى تستطيع أن ترى. ولو كنت في مكان لا هواء فيه، هل تستطيع أن تسمع؟ لا، الأداة موجودة لكن ينقصنك الوسيط الذي ينقل الصوت.

عقلك كيف سيميز الحق من الخطأ؟ يأتي القرآن فيقول لك: هذا حق وهذا باطل. بعقلك الذي استقام كما بعينك التي رأت توزن الأمور، العقل أداة يحتاج إلى مقياس لكي يوزن الخير والشر فيها. هذا المقياس هو القرآن يوافق الفطرة السليمة فأتت الأداة متفقة تمامًا، بمعنى أن كل أصحاب الفطر السليمة لا يمكن أن ينازعوا أبدًا في أي حقيقة غيبية أو في أي أمر شرعي.

العقائد لا يمكن أن ينازع اثنين أن هذه الأفعال العظيمة ليس لها فاعل، كل صاحب فطرة يعرف أن الفعل لابد له من فاعل.

نرى في الأوامر والنواهي الموجودة في القرآن هل ممكن اثنين يختلفوا على أن بر الوالدين خير؟! أبدًا. هل ممكن اثنين يختلفوا على أن شرب الخمر وزوال العقل شر؟! بدون الهوى لا أحد يختلف. كذلك كل الأوامر الشرعية قيسها بهذا المقياس، ولا تقيسها بمقياس الهوى.

معنى ذلك أن العقل أداة توزن الأمور ماذا يحتاج؟ فطرة سوية الإنسان يعيش عليها، وتفاصيل لهذه الفطرة أتت في القرآن. هذه التفاصيل ماذا تفعل لهذا العقل؟ توزن، إذًا قيل له عندك كفتين للميزان وهذه الثقالة التي توزن بها، كل المفاهيم الشرعية ضعها وأوزن بها.

أهل الإيمان يؤمنون بهذا، أما أهل النفاق تحكمهم الأهواء، فكل شيء خلاف هواهم يرفضونه، يأتون إلى الأوامر الشرعية التي هي خلاف هواهم ويرونها باطلة.

هذه الصفة الأولى الخطيرة جدًا وهي جعل كتاب الله مسرحًا لعقولهم، يحكمون فيه كما يشاؤون فالعقل حَكَمَه الهوى؛ لأن كل أحد فينا إذا استرد فطرته السوية ما كان في تشويش على فطرته السوية ما يجد غير هذا الحق.

المشكلة الذي لا يعلم النفس الإنسانية ولم يمارس المعاملة معها، ما يستطيع أن يتكلم عن الأحكام أبدًا، أكيد كثير منكم كان في الحرم المكي أو المدني ورأى النساء وكثير من أعمالهم التي في كثير من المواقف تشعر أن هؤلاء ما يصلح لهم إلا أنهم يجلسوا في بيتهم جزاهم الله خيرًا. أنت لما تكون بعيد عن الصورة تمامًا وما حصل لك أي احتكاك حُكمك مختلف، لكن عندما تدخل وتجدهم يضاربوا على كذا وكذا وبعد ما يضاربوا ينامون ولا يصلّون! يأتيك إحساس أن هناك فرق كبير بين معايشة المواقف والحكم عليها وبين أن أكون خارج الدائرة وانظر لها من بعيد! البعض نراهم في التلفاز لما يؤذن للصلاة وهم مصرين أن يبقوا في الطواف، ويُقال لهم "اخرجوا ستُقام الصلاة" وفي نهاية الموقف تصلي المرأة وسط الرجال!

هذه المواقف توضح أننا لما نكون داخل المواقف غير لما نكون خارجها من حيث اتخاذ القرار السليم.

مثال آخر: لما يسمع شخص عن قطع يد السارق أو رجم أو جلد الزاني، فيقول: هذه وحشية! شأن أنت ما تعرفه ولا عشته ما تستطيع أن تحكم عليه أبدًا. نفسية هذا السارق الله أعلم بها وأعلم أن قطع اليد يصلح له، وأعلم أن الذي يصلح لهذا الزاني أن يُجلد وأعلم أنه يبعد. المؤمن يتأمل قوله: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤]، مُسَلِّم لرب العالمين؛ بعدما عرف الله وآمن به سَلَمَ لدين الله.

وهذا الذي يجب أن نتفق عليه دائمًا؛ أننا لما نُعَلِم الدين، نُعَلِم الاعتقاد فيحصل الاستسلام للعمل. أما أهل النفاق فيأتون بعقولهم وهي قليلة الخبرة مهما جربوا ومهما فعلوا ومهما حصل أن يكون الإنسان مثقف ومتعلم ومجرب لابد أن تكون هناك زاوية يكون فيها قليل الخبرة، يأتون بعقولهم البشرية المحدودة التي لا تعرف إلا زمان معين أو أوضاع معينة ويريدون بعقولهم أن يَحكُموا على كلام الله وأحكامه فماذا يحصل؟! تزيدهم الأحكام والأوامر والأخبار رجسًا!

السبب أنهم حَكَّمُوا عقولهم التي يَحكُمها الهوى والهوى ما يميلون إليه. وأنتم لما تقرؤوا في القرآن أحوال بني إسرائيل وموقفهم من التوراة وكيف أنهم كانوا يتلاعبون على حسب هواهم تفهمون أحوال الناس، الناس يفكرون بعقول الهوى والمصلحة.

والقرآن في الحقيقة يرد هذه العقول إلى الحق، ولو كان الناس يحكمون بهواهم لفسدت السماوات والأرض.

أول سبب يجعل القرآن يزيد هؤلاء رجس وهو العقل الذي حَكَمَه الهوى. فهل هذا يعني أن العقل عندنا مرفوض؟

العقل عندنا أهم أداة للسير والوصول إلى الله، وبها يصبح الإنسان مكلف – أن يكون عاقل بالغ– ولو فقد العقل أصبح غير مكلف. إذًا العقل له مكانته العظيمة عندنا، لكن مكانة العقل مبنية على أنه يفهم كلام الله ويتعلم كلام الله ويتأمل في كلام الله ويجعل دين الله هو المقياس، ثم يسير وراءه وليس هو الذي يتقدَّم دين الله ولا يتقدَّم كلام الله.

**٢–** الصفة الثانية من صفات المنافقين: تعظيم ذواتهم والسير في طريق نُصرَة أنفسهم وهواهم الذي هو (الكبر والعلو)، وهي أهم صفة من صفات المنافقين، لما يأتيهم الحكم من رب العالمين ما يستطيعون أن يكونوا أذلاء له، ما يستطيعون أن يطأطئوا رؤوسهم له، إنما لا بد لهم من رأي واعتراض ومناقشة.

هؤلاء قد شابهوا بحال إبليس، فإن إبليس كل نكبته سببها الكبر {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ} [الأعراف: ١٢] أُمر بالسجود فرفض أن يسجد، ما يقبل الائتمار بالأمر بسبب الكبر، وهذا الكبر كان في إبليس وفرعون وقارون وكان في كل الأقوام التي ردَّت أوامر الله –عزّ وجلّ– وأوامر الرسل. إذًا ستكون صفة الكبر من أخطر الصفات التي تقرب الإنسان إلى النفاق، والكبر كما مر علينا كثيرًا وظاهرته التي نعرفها هو أوسع مما نظن، نحن نظن أن الكبر هو أن يرى الإنسان نفسه أنه أحسن من غيره من الخلق هذا صحيح. لكن هناك ما هو أعظم من ذلك، وهو ردّ الحق؛ لأنه يشعر أنه أفهم من غيره لدرجة أنه يصل إلى رب العالمين! وكما وصف النبي صلى الله عليه وسلم: ((الكِبرُ بَطرُ الحقِّ وغمطُ النَّاسِ)) ، يرى الناس لا شيء وأعظم من ذلك أنه يرد الحق لأنه ليس مصدر الحق، لأنه ليس الذي تكلم بهذا الحق، لأنه ليس صاحب هذه الدعوة فإذًا الدعوة باطلة. إذًا يزيدهم رجسًا إلى رجسهم بسبب الكبر.

كلنا يجب علينا أن نراجع أنفسنا في هاتين النقطتين خاصة:

الأولى: عقولنا، هل نحن نجعلها تتغذى بالقرآن، ويحكمها القرآن، وقاعدتها القرآن، ومفاهيمها منتزعة ومأخوذة من القرآن، أو بعقولنا وتفكيرنا وميراثنا نحكم على القرآن.

الثاني: كم نحن نمارس الكبر! كم مرة جاء الحق ولأنه يخالف هوانا لم نرض به! كم مرة نريد أن نفعل أفعال هوائية مخالفة ما هو موجود في الحكم الشرعي، فلما يخبرنا أحد عن الحكم الشرعي نرفضه ليس لأن معنا دليل لكن لأنه يخالف هوانا. هذا الكبر على الحق وهذه الصفات تجعل الإنسان لما يسمع الحق ويسمع القرآن ما يزيده إيمانًا، بل تزيده رجس إلى رجسه ودنس إلى دنسه فلا يكون سببًا إلى تطهير.

نكتفي بهذين السببين حتى لا يطول الكلام عن أهل النفاق، غدا إن شاء الله الكلام عن الاستبشار بالتفصيل.

انتهى اللقاء الأول بفضل الله..

[٤] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، ١٤٧.